بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة التاسعة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، و اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله.

مازلنا مع الأصل الثالث من أصول أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان، ألا و هو أن (الإيمان يزيد وينقص)، وقلنا إن الكلام ده ينسحب على جميع أبعاض الإيمان؛ قول الظاهر والباطن والعمل الظاهر والباطن، وشفنا إن زيادة قول القلب يختلف باختلاف عدد الأخبار الواردة على القلب، وده اللي هو الزيادة **الكمية**، أو باختلاف نوع الخبر ونوع المخبِر ونوع المخبَر، ودي الزيادة **الكيفية**، ودي تبقى في السؤال الواحد بس أو في الخبر الواحد بس.

أما زيادة عمل القلب؛ و دي صفحة (٣٤)، فبيستدل عليها بقول الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧]؛ يعني إيمانا، وقال عز وجل: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]

وحديث: **(أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان).**

شوف كلام شيخ الإسلام بقى في الجزئية اللي معانا دي، يقول رحمه الله: (بل الخلق في إيمانهم بالله وكتابه ورسوله متنوعون، فلكلٍ منهم في قلبه للكتاب والرسول مثال علمي – مثال علمي: العلم اللي هوه المعنى القائم في القلب يعني– بحسب معرفته، مع اشتراكهم في الإيمان بالله وبكتابه و برسوله –يعني كأصل–.

الأصل مافيش فيه تفاوت الناس بين بعضهم، الأصل إما موجود وإما مش موجود، التفاوت يكون فيما زاد عن الأصل، التفاوت يكون فيما زاد عن الأصل؛ يعني التفاوت ده جوا دائرة الإيمان، المؤمنين بالأصالة فعلاً ثم يتفاوتون بعد ذلك فيما سيأتي في المسألة التي بعد كده، (وأهله فيه على تفاضل).

بيقول: فهم متنوعون في ذلك متفاضلون، وكذلك إيمانهم بالمعاد والجنة والنار وغير ذلك من أمور الغيب، وهم متنوعون في الرؤية والسماع، فالواحد منهم يتبين له من حال المشهود مالم يتبين للآخر، حتى قد يختلفون، فيثبت هذا مالا يثبت الآخر، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن الغيب بأحاديث كثيرة، وليس كلهم سمعها مفصلة..

ده دول اللي حضروا النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعوه وقعدوا معاه وبايعوه وهاجروا إليه، مش كل واحد منهم سمع كل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، يبقى يتفاوتون بعدد الأخبار ولا لأ؟ يتفاوتون في باب تصديق القلب، في باب القول الباطن، كلهم زي بعض كلهم معاصرين النبي؟ لأ، كلهم مش زي بعض متفاوتون.

يقول: ..والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن الغيب بأحاديث كثيرة، وليس كلهم سمعها مفصلةً، والذين سمعوا ما سمعوا ليس كلهم فهم مراده، بل هم متفاضلون في السمع والفهم، كتفاضل معرفتهم وإيمانهم بحسب ذلك..

يعني إحنا قاعدين وأنا بتكلم و كلنا في مسجد واحد، درجة السمع عند الجميع واحدة؟ لأ، طيب إحنا عاملين مكبرات صوت وإلى آخره ليه؟ لأن ممكن يكون واحد مشغول عمال يزغد في اللي جنبه وعمال يتكلموا مع بعض، فأنا في وادي وهوه في وادي، أي نعم من باب إدراك

الحس هوه في صوت، لكن في فهم داخل؟! لأ مافيش، وواحد قاعد وسرحان، هوه سامع بس مش مستوعب، زي اللي نايم كده بيروح في النوم، هوه سامع أصوات لا يفهمها، ده بيتسمى نعسان، وفي ناس مبرقالي ومفنجلالي، وزي ماربنا قال: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: ١٨]، صح؟ ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ده اللي عايزينه، مصدر التلقي؛ الوعي.

قال: ..ثم هم يتفاضلون في العلم والإرادة، فإذا كان أحدهم أكثر محبةً لله وذكراً وعبادةً كان الإيمان عنده أقوى وأرسخ..

يعني اللي حيفوتك في الدرس ممكن تعوضه في الليل، ويلي حيفوتك في الليل ممكن تعوضه في النهار ، ويلي حيفوتك في العمل ممكن تعوضه في الذكر، يعني الأبواب كثيرة بس اشتغل.

..ثم هم يتفاضلون في العلم والإرادة، فإذا كان أحدهم أكثر محبةً لله وذكراً وعبادةً كان الإيمان عنده أقوى وأرسخ، من حيث المحبة والعبادة لله، وإن كان لغيره من العلم بالأسماء والصفات ما ليس له..

يعني ممكن طالب مذاكر وفاهم وشاطر وبيطلع الأول وتقدير عام امتياز، ولكن العمل ضعيف، يعني هوه من باب النظري شاطر، ولكن في التطبيق العملي واقع.

قال: وتكون منازلهم متفاضلةً بحسب إيمانهم ومعرفتهم، وإذا كان الرجل قد حصل له إيمان يعرف الله به وأتى آخر بأكثر من ذلك عجز عنه لم يُحمّل مالا يطيق..

يعني مثلاً مثلاً، واحد نفسه يبقى مؤمن وطالب علم شاطر، وجيه حضر الحلقة ومش قادر يفهم، و شايف الناس عمال الشيخ بيسأل و يجاوبوا، ويعملوا امتحانات، مش قادر مش عارف

يتعامل مع الناس دي، فالشرع لا يكلفه بذلك ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[الطلاق: ٧].

ربنا إداك مثلا قدرة في باب العلم، ينفق في سبيل الله قد اللي قاعدين دول مليون مرة، ماشي خش من باب الإنفاق، ومفتوح له على مصراعيه، ويبقى من السابقين فيه، والثاني موس مذاكرة، يذاكر بص لو جبنا الناس اللي بتمول الأنبياء مش اللي بتمول دعوة الإخوة يعني مش حيوقفوا جنبه في حاجة.. صعب.. لكن هوه في باب العلم النظري حاجة..

كل إنسان فتح الله عز وجل له في باب من أبواب الإيمان مافتحوش للثاني، ونتذاكر هنا كلام الإمام مالك رحمه الله وهوه بيقول: (إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق)؛ في واحد طويل واحد قصير، واحد أبيضاني واحد أسمراني، واحد تخين واحد رفيع، واحد سريع اللهجة واحد بطيء ثاني، واحد سريع الفهم واحد بطيئه، واحد بخيل واحد كريم، أشكال كلها أعمال ظاهرة وباطنة، وربنا بيقسمها زي ما بيقسم أرزاق الخلق.

قال: ..وإن كان يحصل له بذلك فتنة لم يُحدّث بحديثٍ يكون له فيه فتنة..

عشان كده لما بقولك دي مجموعة مغلقة، ودي طلبة علم على مستوى متقدم، أو فوق المتوسط أو أواخر المتوسط ماتبقاش تزعل مني، عشان اللي انا ببقى عارف إنه الدرس حيتعبله دماغه، رغم إن إحنا عمالين نعصر ونفصص في الكلام، وبيقولك ده الشرح سهل، أيوه عشان أنت بتذاكر، في واحد أي نعم أخ قديم وبقاله عمر وطول وشغلة بس مش سكته دي، وممكن يتضجر لأنه حيروح متدايق مش فاهم، فيحس إن قلبه اتغير، هوه قلبه ماتغيرش ولا حاجة هوه أنت مش مجال شغلك ده، أنت لك باب تخش بيه على ربنا، مش من ده في باب ثاني.

وده مش معناه إن أنت تزهد في العلم الشرعي، انا بقولك أنت ماتخافش، يعني باب أغلق، ربنا إذا أغلق باباً فتح أبواباً، في باب الرزق والتدبر ابن القيم بيقول كلام جميل في فوائد على ماأظن إن ماكنتش اوهمت بيقول: أنظر إلى الجنين يأتيه رزقه من نوعٍ واحد من بابٍ واحد..

يأتيه رزقه من نوع واحد وهوه الدم من باب واحد وهوه السرة، ماهو كل غذاء الطفل في الحمل إيه؟ دم بس، لا بياكل ولا بيشرب ولا بيخرج، ونفس المكان اللي بيخشله منه الأكل نفس المكان بيكون الإخراج، هيه السرة دي بوابة ليه يعني فم ومخرج في حال الجنين.

..أنظر إلى حال الجنين يأتيه رزقه من نوعٍ واحد وهو الدم، من بابٍ واحد وهو السرة، فإذا أُذن له بالإيلاد، وأُغلق عنه هذا الباب فتح الله عز وجل له بابين اثنين –اللي هما ثديي الأم–، حار في الشتاء و بارد في الصيف؛ عشان يبقى مكيف، فإذا بلغ سن الفطام وأغلق عليه هاذين البابين فتح له أبواباً أربعة؛ بابان من الشراب الألبان وسائر الأشربة، وبابان من الغذاء النبات واللحوم، فإذا انقضى أجله وأغلق عليه ذلك الباب، وكان من أهل الإيمان، فتح الله له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء..

متوالية؛ متوالية حسابية، شوف كلام شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله، عباقرة، متوالية هندسية.

بيقول: ..فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً.

أوعى تغلب، مش أنت عاوز تخدم ربنا، أبواب الخدمة كثير جداً جداً، ده اتقفل في مائة مليون غيره ح يتفتح بس خليك عالباب ماتمشيش، مش جيت تجرب نفسك في دورة لقيت نفسك مش نافع، تروح سايب الدعوة والإخوة وتروح تدور مع الملحدين، لأ مش كده، تجتهد في بدائل، يعني تخش بها على ربنا سبحانه وتعالى.

قال: وإذا كان يحصل له بذلك فتنة لم يُحدث بحديثٍ يكون له فتنة..

ولذلك كان من كلام السلف: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟) و من كلام السلف من بعض الصحابة: (ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه أفهامهم إلا كان لبعضهم فتنة)، وهو قرآن، هو سنة، بس صاحبك مايستقبلش، مش قدراته.

قال: ..فهذا أصل عظيم في تعليم الناس ومخاطبتهم بالخطاب العام؛ بالنصوص التي اشتركوا في سماعها، كالقرآن والحديث، والحديث المشهور، وهم مختلفون في معنى ذلك) اهـ

وأما زيادة عمل الجوارح؛ نقول: الزيادة فيها أوضح من أن تذكر، فتفاوت الخلق في الأعمال الظاهرة يدرك بالحاسة، فمن صلى ركعتين ليس كمن صلى ركعات كثيرات، ومن قرأ آية ليس كم قرأ سورةً، ومن أنفق درهماً ليس كمن أنفق ألفاً، وكل من كان من العباد أكثر عملاً صالحاً بجوارحه فهو أكثر إيماناً ممن ليس كذلك، وهذا لا يتصور فيه خلاف، كلام شيخ الإسلام خلص عند حتة (معنى ذلك)، من اول نقطة أربعة لحد الآخر ده كلامنا، يعني بنكمل كلام أهل العلم.

القاعدة اللي بعد كده اللي هيه الرابعة:

وأهلُه فيه على تفاضُلِ   هل أنتَ كالأملاكِ أو كالرُّسُلِ

بيقول هنا: وأدلة ذلك: حديث أفضل المؤمنين إسلاماً، من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله، أفضل أفضل أفضل أفضل، بيقرر لنا القاعدة، كل الأعمال والأقوال اللي شفناها دي من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، كلها داخلة في مسمى الإيمان، ويتفاضلون بحسب مايتحصلونه من ذلك.

حديث افضل الإيمان: الصبر والسماحة، حديث: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، حديث: ألا أخبركم

بخيركم من شركم، خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره، وحديث خياركم خيركم لأهله، وحديث خيركم خيركم قضاء.

يقول شيخ الإسلام: بل الخلق في إيمانهم بالله وكتابه ورسوله متتنوعون، فلكل منهم في قلبه للكتاب وللرسول مثال علمي بحسب معرفته، مع اشتراكهم في الإيمان بالله وبكتابه وبرسوله، فهم متنوعون في ذلك متفاضلون

وبعد كده بيقول:

وأهلُه فيه على تفاضُلِ

أي وأهل الإيمان في الإيمان متفاضلون.

هل أنتَ كالأملاكِ أو كالرُّسُلِ

سؤال عشان يقرر القاعدة؛ إنت حاسس من نفسك إن إيمانك كإيمان الأنبياء؟ مش ممكن ولا تقدر تقول آه، ولا ينطق بهذا إلا جهمي جلد غالٍ في الإرجاء –عياذاً بالله–، اللي هوه عنده إن الناس كلها في الإيمان يا إما موجود يا إما مفقود، واللي موجود كله زي بعضه، قلنا الكلام ده في الأول في أقسام الناس من الغلاة والجفاة.

حقيقة النقصان وإلى أي مدى يكون

بنقول: ينقص حتى لا يبقى منه إلا الأصل، وحنضرب أمثلة بقى مش موجودة معانا في الكتاب هنا.

النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يقول: **(إن لله آنية من أهل الأرض؛ قلوب عباده الصالحين، فأحبها إلى الله أرقها وأصفاها)** حديث حسن.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بيقول: **(مثل ما بعثني الله تعالى به من البينات والهدى كمثل غيثٍ أصاب أرضاً..)**، والغيث هو ماء المطر.

يبقى النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثال للإيمان بالماء، ومثال للقلب بالإناء، فأنا بجيب أحاديث أهوه مش من برا، أدي الإناء وأدي الماء، وحنشوف بقى ورود الإيمان على القلب وبيمتلىء بحسب إيه؟ كلما حصّل من أقوال وأفعال كلما زاد الإيمان في القلب، هوه ده عمال يستقبل وهوه ده عمال يعلا، وبقدر المعصية بيحصل العكس.

والفاسقُ المِلِّيُّ ذو العصيانِ لم يُنفَ عنه مُطلقُ الإيمانِ

لكن بقَدْر الفِسقِ والمعاصي إيمانُه ما زال في انتقاصِ

ولا نقولُ إنه في النارِ مخلَّدٌ بل أمرُه للباري

تحتَ مشيئةِ الإلهِ النافِذَةْ إن شا عفا عنه وإن شا آخذَهْ

بقَدْرِ ذنبِهْ وإلى الجنانِ يُخْرَجُ إن مات على الإيمانِ

تعال نشوف بالتطبيق العملي، ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لله آنية..)، ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم، (مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل غيثٍ) أثر النقصان، يفضل الإنسان يذنب ذنباً فينقص إيمانه، يترك عملاً فينقص إيمانه، يخالف ينقص إيمانه، يتعطل ينقص إيمانه، لحد لما..

لو سألتك انا راجل محدث وعايز اتوضى وأنا وأنت لوحدنا في الصحراء الصعبة وبقولك هات مية أتوضى معاك مية تتوضى وماحيلتناش إلا الكوباية دي بالوضع ده، ح تقولي آه ولا لأ.

الراجل هنا دلوقتي لو قالك انا عايز مياه أتوضأ، وانت مامعكش غير الكوباية دي، ح تقول لأ مامعيش والله ما معايا والله ما معايا، طيب قالك أنا عايز مية أشرب ومامعكش

إلا الكوباية دي ح تقوله آه ولا لأ؟ لأ وحتحلف، أنا حأحلف والله ما في مية تشرب، والله ما في مية تشرب، والله ما في مية تشرب، هنا يعني في الكوباية في هذا الإناء.

مش مافيش مية في الكون، انا بتكلم عالموضوع اللي يخصنا، طيب مية نطفي بيها حريق؟ لأ، طيب مية نسقي بيها حيوان؟ لأ، طيب مية نغسل بيها نجاسة؟ لأ، طيب مية نسقي بيها زرع؟ لأ.

طيب لو حبينا نعمل اختبار في المعمل بالمسحوق أو بالبودرة المعروفة؛ برمنغنات البوتاسيوم، ورحنا بدرناها في الكوباية كده، ح نلاقي الكوباية تلونت بإيه؟ بنفسجي، رغم إن مافيش مية في الظاهر، بس في ذرات رقيقة جداً على جدار الإناء، في المعامل بقى وعند الدقة وبالذرة وح نوزن ح نلاقي صح ولا لأ، لو كوباية ناشفة لو قعدت تدوب فيها للصبح مش ح تلون صح ولا إيه؟ لكن في هنا مختبرات دقيقة بتبين الذرات الدقيقة.

وهوه ده اللي النبي صلى الله عليه وسلم اللي قال عليه: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه)، بيحلف صدق ولا كذب؟ بيحلف صدق طبعاً، أصدق القائلين صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق.

طيب لما يقول: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، أيوه لا يؤمن الإيمان الذي يحجزه عن الزنا، لأن لو كان عنده إيمان واجب يحجزه عن الزنا ماكانش زنا، إنما هوه عنده إيمان يحجزه عن الكفر، فزنا ولم يكفر، يعني من جهة الإيمان مسلم، بس ناقص الإيمان جداً، مش ممكن تقولي إن الكوباية يلي مافيهاش ذرات تلون شوية برمنغنات بوتاسيوم أنفع أتوضأ بيها.

بمقتضى إن أصل الماء موجود يبقى الكوباية مليانة؟ لأ غلط، المرجئة قالوا كده، قالوا في ذرات ماء موجودة يبقى الكوباية مليانة، غلط، والخوارج قالوا لأ طالما الكوباية مش مليانة تبقى ناشفة ما دخلهاش مية، برده لأ، لأن الحق بين رذيلتين؛ رذيلة الغلو ورذيلة الجفو، فهمتم بقى القصة.

يبقى أنت فهمت إن النبي ﷺ أمتى نفى وأمتى أثبت، (أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان)، ده ذرات كثيرة ومع ذلك تقدر تقول ماعندوش إيمان، وتتكلم صح، ماعندوش إيمان اللي هوه الإيمان الواجب اللي استعماله في المشهد ده،في الموقف ده مش موجود، صح ولا إيه؟ يبقى المنفي هنا الإيمان القدر الواجب الذي يجب تحصيله في المشهد ده، والمثبت هوه الذي يفرقه عن الكافر.

يبقى مافيش تعارض أبداً أبداً بين أحاديث إثبات الإيمان اللي هوه الإسلام في حق أصحاب المعاصي، ولا أحاديث نفي الإيمان بمعنى نفي الإيمان الواجب في حق أصحاب المعاصي، وده معنى قول الشيخ الحكمي رحمه الله:

لكن بقَدْر الفِسقِ والمعاصي   إيمانُه ما زال في انتقاصِ

طيب تعال نشوف حتة الإنتقاص دي، طبعاً في أمثلة كثيرة كنت ضاربها بس كفاية المثال ده، وأظن واضح جداً، ونضرب مثال بسيط خالص؛ الروح التي سماها الله عز وجل إيماناً، أو سمى الإيمان بها روحاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[الشورى: ٥٢].

يعني وصفها في أول الآية بالروح وفي آخر الآية بالنور، ده الإيمان، الكلام على الإيمان، يعني الإيمان له مثالين اثنين في آية واحدة: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ)، القرآن الروح، الإيمان الروح، الإسلام الروح، دي كلها تصدر على المعنى.

(وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ) أي القرآن، (وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ) أي الإسلام، (وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ) أي محمد، في باب الهداية، (نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ)، يبقى إحنا بنقول هنا دلوقتي: ضرب الله عز وجل مثلاً للإيمان بالماء، وخلصناه أهوه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، وضرب للإيمان مثلاً بالروح.

ربنا سبحانه وتعالى بيقول إيه في الآيات: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل: ٨٠]، كلها في الكافرين، ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، يعني كافراً فأسلم، إذاً سمى الله عز وجل الإيمان روحاً.

وطبعاً الروح وقوتها واتصالها بالجسد بيختلف في حالات الإنسان، حالة قوة الإنسان باتصال الروح بالجسد وشبابه وريعانه وقوته، غير حالته وهو طفل رضيع بيحبو أو بيزحف أو يادوبك بيقعد مربع بالعافية، وينكفي كده شوية وكده شوية، غير في حالة الضعف والشيخوخة وهو خلاص في حالة الموت على أجهزة الإعاشة، يادوبك شوية تخلي قلبه يدق، والمخ توقف ولا إخراج ولا ألم ولا بكاء ولا كلى ولا كبد ولا أي حاجة، كله قلب بيدق وخلاص، ماقدرش أقول عليه ميت، زي المتحلل مثلاً، وأقول لمراته اعتدّي به، وأغسله وكفنه بالحياة، ولا أقدر أقول عليه حي الحياة الكاملة التي يدافع بها عن نفسه، ويشتكي بها إلى ربه سبحانه وتعالى، ويتألم ويشتكي ويقول، لا كده ولا كده.

يعني لا هو ميت زي الجثة اللي فارقتها الروح تماماً، ولا هو حي زي الراجل اللي بقوته وبيروح وبيجي وبيكسر حجارة وبيلعب كاراتية وبيقفز أسوار، لا هذا ولا ذاك، فما تقوليش إن إثبات الإيمان يعني كامل، نفي الإيمان يعني كفر، لأ مش كل مرة كده، مش كل مرة كده، يبقى أنت لازم تجمع بين الأحاديث: (الباب إذا لم تُجمَع طُرُقُه لم يُعلم فقهه)، مش ح تفهم لازم تجمع الأدلة،وشرع الله يصدق بعضه بعضاً، مش بيكذب بعضه بعضاً، عشان تفهم المسألة.

كذلك مسألة النور لما أنت تجي تولع الولاعة، وتولع مرة وتطفي مرة، ما تخلهاش زي الولاعة اللي مافيهاش بنزين أصلا، ولا فيها حجر إشعال، دي زي دي؟ تفرق، طيب برده ما تخليهاش زي الكشاف اللي فوق دماغي ده، ولا زي نور كشافات الملعب، ولا زي نور الشمس، رغم إن ده نور وده نور، يعني مايبقاش إثبات النور تقولي الولاعة اللي بتطفي مرة وتولع مرة شكل الشمس، ولا أن أنت تنفيها تقولي لآ دي مش ولاعة دي خشبة، لآ فيها حاجة بس ضعيفة ، فنفس المسألة.

إحنا بنقول تفاوت بقى بين مثقال الذرة وبين أدنى من مثقال الذرة إلى من إيمانه كالجبال، النبي محمد صلى الله عليه وسلم بيقول: **(عرض علي الناس في المنام وعليهم قُمُص، فمنهم من يبلغ القميص إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ القميص إلى حقويه** -لحد حزامه كده-، **ومنهم من يبلغ قميصه إلى ثدييه** -كل جسمه مكشوف من تحت القميص لابسه من فوق لحد هنا-، **ورأيت عمر بن الخطاب في قميصٍ يجره** -يعني نازل أطول منه في الأرض-، **قالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين)**، وفي حديث: العلم -العلم بالله سبحانه وتعالى-.

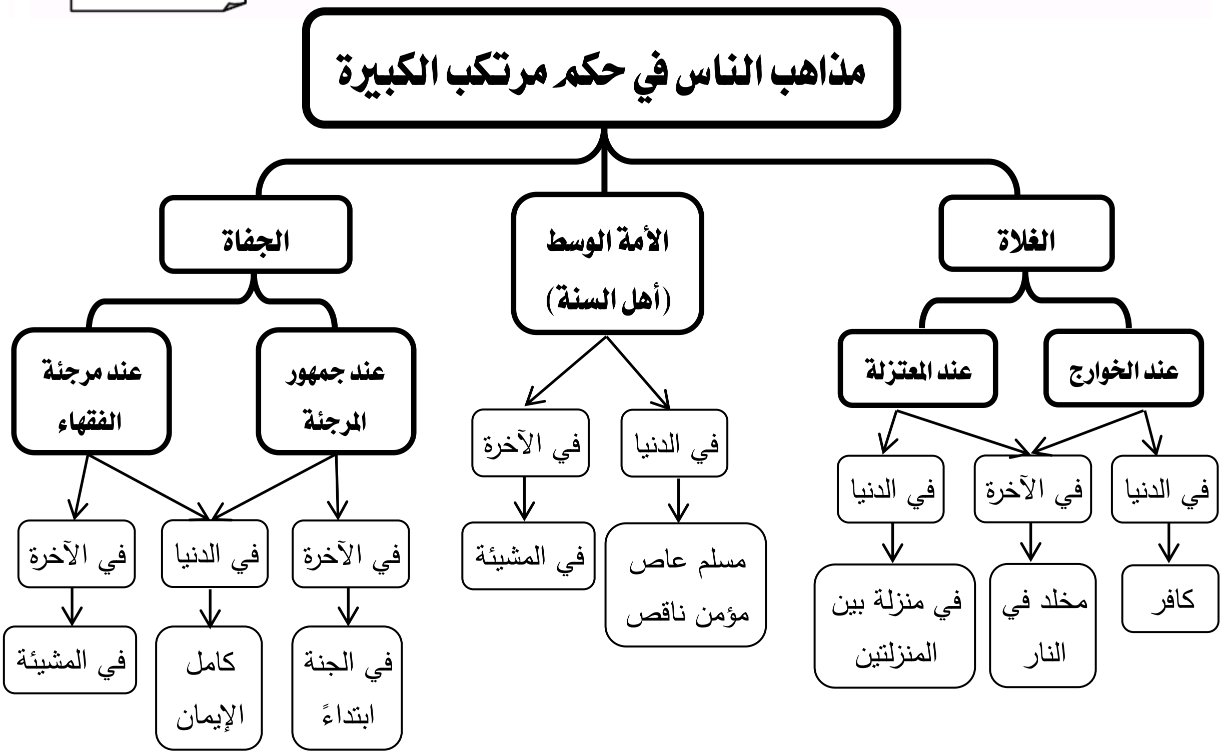
فدي أمثلة واضحة جداً جداً، النبي صلى الله عليه وسلم بيقول: (الناس يمرون على الصراط ويعطون نوراً على قدر إيمانهم، فمنهم من إيمانه كالجبل العظيم، ومنهم من إيمانه كالنخلة، ومنهم من إيمانه كقامة الرجل، ومنهم من يعطى إيماناّ على إبهامه، يضيء مرة ويطفئ مرة)، كل دي أمثلة ربنا ضربها لتفاوت الناس في الإيمان.

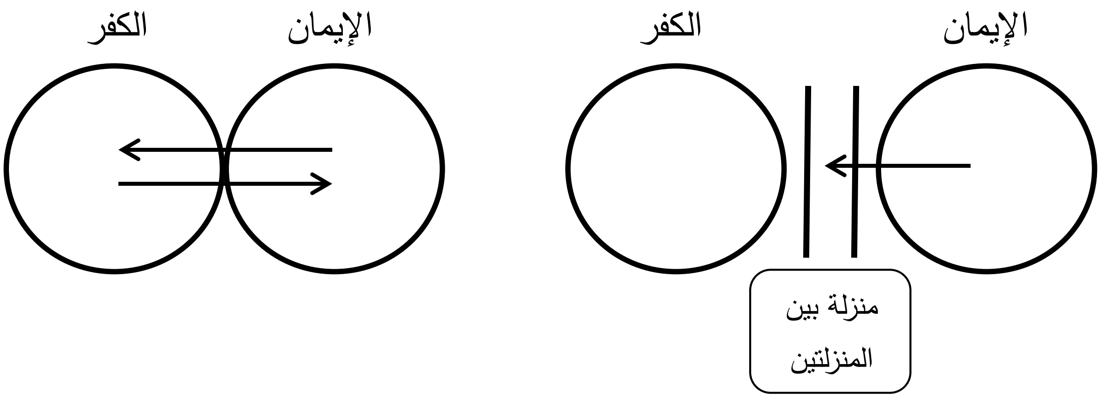
وأهلُه فيه على تفاضُلِ　　　　هل أنتَ كالأملاكِ أو كالرُّسُلِ

فبناءً على إن الإيمان قول وعم ، والإيمان أصل وكمال، لابد أن تؤمن أن الناس في الإيمان متفاضلون، ولا بد أن تؤمن أن الإنسان بعصيانه ينقص إيمانه ولا ينتفي، وأنه بطاعة الله يتزايد إيمانه ولا يثبت في مكانه، لازم تؤمن بالحقائق دي، لأنها مواضع إجماع بين أهل السنة والجماعة.

حننقل على طول على حكم مرتكب المعصية، وأثر المعصية في الإيمان عند المبتدعة وأهل السنة، حنشوف الموضوع كله على بعضيه ونشوف كلام أهل السنة.

حنقول هنا: مذاهب الناس في مرتكب الكبيرة، انا كاتب أهل البدعة بس وحدخلك معاه اهل السنة بس عشان أوفر وقت.





حنقول هنا: الغلاة في هذا الباب والجفاة والأمة الوسط اهل السنة والجماعة، الغلاة دول عندنا قسمين اثنين هم فريقين بس: الخوارج والمعتزلة، والأمة الوسط هم أهل السنة فقط؛ السلفيون عبر العصور يعني، الجفاة عندي قسمين: جمهور المرجئة، ومرجئة الفقهاء.

حنتكلم بقى في مرتكب الكبيرة في حكم في الدنيا والآخرة، يعني حنخلي دول نشوف حكمه على مرتكب الكبيرة في الدنيا وفي الآخرة ، حنقسم كل مدرسة فكرية قسمين، نشوف هنا حنقول

عند الخوارج في الدنيا وبعدين في الآخرة، وعند أهل السنة في الدنيا و في الآخرة، وهنا في الدنيا وفي الآخرة، انا بالتقسيمة ببدل عشان مقصودة أصلاً، ح نلاقي إن الوعيدية اتفقوا في حكمهم في الآخرة –الغلاة الوعيدية– اللي همه مسكوا في آيات الوعيد اللي هي بتتكلم على عقوبات أهل المعاصي باختلاف ألفاظها، الخوارج والمعتزلة متفقين في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، دي مخلد في النار، مخلد في النار يعني زيه زي ابو جهل زي ابو لهب، مافيش عنده فرق خالص.

طيب المرجئة بقسميهم اللي هم الجفاة، مرجئة الجمهور يعني المرجئة، اللي هم مش مرجئة الفقهاء يعني، اتفقوا على حكمهم في الدنيا؛ قالوا الاثنين عليه: كامل الإيمان، ليه؟

لأن دول عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ودول برده عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لكن دول في الدنيا قالوا كامل الإيمان، مرجئة الفقهاء اختلفوا عن جمهور المرجئة وقالوا: إن هوه في المشيئة، زي ما إحنا بنقول بالظبط.

دول قالوا في الدنيا إيه دول قالوا كافر كفر ملة، يعني ده برا مرتد عن الإسلام خلاص، إلا طائفة منهم اسمها (الإباضية) سموه كافر كفر نعمة، مش ده تفصيلنا مش بندرس الخوارج بالتفصيل دلوقتي لكن سموه كافر، المعتزلة سموه في منزلةٍ بين المنزلتين، جمهور المرجئة قالوا إيه؟ قالوا في الجنة ابتداءً.

تبقى أدي المذاهب أهوه، بالنسبة في الآخرة عند دول مخلد في النار، عند دول في الجنة ابتداءً، عند دول في المشيئة، في الدنيا عند دول –الخوارج– كافر، عند دول في منزلة بين المنزلتين، عند دول كامل الإيمان.

مذهب أهل السنة بتخالف دول كلهم مع بعض، يعني أخذ الحق الذي عند كل فريقٍ واعتمده ورد باطله، يعني كل خير عند أمة من الأمم، عند فريق من الفرق، عند طائفة من الطوائف حتلاقيه عند أهل السنة وزيادة، وكل شر في أي فرقة حتلاقي أهل السنة مبرؤون منهم.

طيب كلام الخوارج في إن مرتكب الكبيرة كافر، ده كلام مش محتاج كلام كتير ده مدون في كتبهم ومدوناتهم، وكل اللي كتب في الفرق قال إن الخوارج بيتفردوا عن سائر أهل القبلة باعتقادهم إن أصحاب الكبيرة كفار مرتدون، عشان كده بيستحلوا دماء الناس وأعراضهم على أساس إن هم كفار، في الآخرة مخلد، وده كلام على قواعدهم ماشي منطقي، ماهو كافر في الدنيا يبقى مخلد في الآخرة مافيهاش فصال يعني.

إنما دول المعتزلة في هذا الباب سموا (مَخَانثة الخوارج) لأن هم خوارج خرع يعني، ماقدرش يقول كافر زي مادول قالوا، ولا قدر يثبتله الإيمان زي ما أهل السنة أثبتوه، ولا قدر يقول إنه مؤمن كامل الإيمان زي ما المرجئة قالوا، لأنه ماعندهمش زيادة ونقصان، فقال هوه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فاخترعوا المنزلة الجديدة دي، وده الفصيل الذي تميز به المعتزلة، دي بدعة في حياتهم جديدة، لا سلف لهم فيها إلا واصل بن عطاء، هو اللي اخترع البدعة دي، واصل الذي هو اعتزل مجلس الحسن البصري، ومن أجلها سموا بالمعتزلة عشان المسألة دي، عشان اختراع البدعة الجديدة دي في منزلة بين المنزلتين، قال هو خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر.

يعني إيه لم يدخل في الكفر؟ اللي يخرج من الإيمان يدخل في الكفر خلصت، قالك لأن التصور عندك إن دائرة الإيمان مماسة لدائرة الكفر، اللي يطلع من هنا يخش هنا، ويلي ح يطلع من هنا يخش هنا، مافيش مشكلة خالص، لو سمينا دي إيمان أو إسلام وسمينا دي كفر يبقى إجابة منطقية، إنما الجماعة دول زحزحوا الدائرتين عن بعض، فخلّى دي هنا ودي هنا، وعملّي هنا كده رصيف نمرة خمسة، يعني منزلة بين المنزلتين، يعني ممكن يطلع من هنا و يجرج هنا، جبتها منين دي؟ أهو كده بقى، يعني مالهاش حل إلا كده.

وخود بالك عند التحقيق حنجد إن المعتزلة يعاملون مرتكب الكبيرة معاملة المنافق، لأن هوه عنده أصلاً خرج من الإيمان بس في الباطن، إنما في الظاهر عنده أدلة بتثبتله أحكام المسلمين وعصمة الدماء، يعمل إيه؟ قال: مشيها معصوم الدماء زي ابن سلول.

والجماعة بتوع تاركي جنس العمل بيقولوا إيه بقى؟ ومن علم كفر هؤلاء الناس –يعني كده على جنب– يعاملهم معاملة الكفار، بس هسسس لا يخبر أحداً، جذور معتزلة، عرفت جاي منين وجذوره فين، طبعاً ممثل الخوارج المعاصرين (شكري مصطفى) وش كده مرتكب الكبيرة كافر على طول، مابيفاصلش، وكأن التكفير ده نوع من أنواع الانتصار يعني.

المعتزلة اللي هوه يقولك يعني رِجل جوا ورِجل برا، فاكرين تقسيمهم للناس، لما قالوا: والناس ثلاثة أقسام، ده معتزلة العصر، او القطبية الجديدة، بيقولك: والناس ثلاثة أقسام مسلمون بلا شبهة، وكفار بلا شبهة، وطبقة نتوقف فيها حتى نتبين.

دول بتوع التوقف والتبين بتاع عبد (الحميد الشاذلي)، اللي طوروا الموضوع زي التطور الطبيعي للحاجه الساقعة كده، فقالوا إيه؟ هو الناس ثلاثة أقسام: مسلمون بلا شبهة، وكفار بلا شبهة، وطبقة متميعة لا ننشغل بالحكم عليها، لكن الكلام في سرّك؛ ومن علم نفاق هذه الطائفة –يعني فاهم الموضوع– يعاملهم معاملة الكفار، ولذلك بتلاقي واحد بيستحل دم واحد ظاهره الإسلام، ليه؟ أصل هوه علِم كفره على الحقيقة، على قواعد مذهبه المنحرف، ده خطير جداً، مصائب، الحمد لله الذي عافانا من هذه العفانة.

فأنت شوف أدي كلام الجماعة دول بقى الدنيا عندهم وردي خالص، فالراجل عنده يا مؤمن يا مش مؤمن، والإيمان عندهم حتة واحدة، عندك يبقى أفسق الأمة زي جبريل، فالإيمان لا يزيد ولا ينقص، فعشان كده مرتكب الكبيرة عندهم لو جاب كبائر الأولين والآخرين إيمانه ماينهزش منه شعرة، زي ماهوه، أصل الإيمان التصديق وهوه مصدق، إنما فعل ترك، هوه يفعل يترك مش حتختلف يعني، هوه مصدق فخلصت خلاص، في الآخرة؛ قالك طالما مؤمن في الدنيا حيروح فين في الآخرة؟! الجنة حتف على طول.

دول قالوا لأ الآيات بتقول والأحاديث بتقول وعملاً بها وجمهور أهل السنة.. هم أحياناً بيبقى يعني ظهير لأهل السنة في مسائل كثيرة جداً –مرجئة الفقهاء–، ولذلك هم أقل الفرق خلافاً لأهل السنة والجماعة في مسائل الوعد والوعيد، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع

كثيرة –مش في كل المواضع–، في مواضع كثيرة بيثبت إن خلاف أهل السنة مع مرجئة الفقهاء في مسائل الإيمان خلاف لفظي، إن أنت سميته كامل الإيمان لكن التطبيقات أنت عاملته على إنه فاسق ملّي، زي ما أنا حأتكلم عند اهل السنة.

أهل السنة قالوا هوه عندنا مسلم، رداً على الخوارج اللي قالوا عليه كافر، وعلى المعتزلة اللي قالوا بمنزلة بين المنزلتين، مسلم ماكفرش ولا طلع من دائرة الإسلام أصلاً، لكنه عاصٍ، يعني مش كامل الإيمان زي ما الخوارج قالوا، او مؤمن ناقص الإيمان، أو فاسق ملّي، يعني منتسب للملة يعني، فردوا عالفرقتين.

في الآخرة قالوا في المشيئة، مشيئة مين؟ مشيئة ربنا؛ إن شاء عذبه بلا خلود، وحنفصل في المسألة دي في الحلقات القادمة، إن شاء عذبه بلا خلود كخلود الكفار، وإن شاء غفر له بلا توبة، لأن البحث مش في التائب أصلاً، البحث في غير التائب، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ده ملخص مذاهب أهل الفرق في مرتكب الكبيرة، ونختم بالأبيات اللي بتوضح مذهب أهل السنة بوضوح في الباب ده.

بيان معتقد او مذهب او منهج اهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة

بيقولنا الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي:

قال:

فسق دون فسق — المنتسب للملّة — يعني أصله

والفاسقُ المِلّيُّ ذو العصيانِ ... لم يُنفَ عنه مُطلقُ الإيمانِ

لكن بقَدْر الفِسقِ والمعاصي ... إيمانُه ما زال في انتقاصِ (الواجب)

ولا نقولُ إنه في النارِ ... مخلَّدٌ بل أمرُه للباري

تحتَ مشيئةِ الإلهِ النافِذَةْ ... إن شا عفا عنه وإن شا آخذَهْ (بغير توبة)

بقَدْرِ ذنبِهْ وإلى الجنانِ ... يُخْرَجُ إن مات على الإيمانِ (الأصل)

ولا تُكَفِّرْ بالمعاصي مُؤمِنَا ... إلا معَ استِحلالِهِ لِمَا جَنَى

أدي القانون اللي أنت حتحفظه، قال لي هنا: (والفاسقُ المِلِّيُّ)، والفاسق معناه الخروج عن الطاعة، وهذا خروج دون خروج، يعني ماخرجش من الطاعة بكليتها، يعني ماأسموش كفر ولا ارتكب فسقاً أكبر، وإنما هنا المفروض هو فسق دون فسق، الفاسق الملّي يعني المنسوب او المنتسب إلى الملة اللي هيه التوحيد، (ذو العصيانِ) مش ذو الكفران.

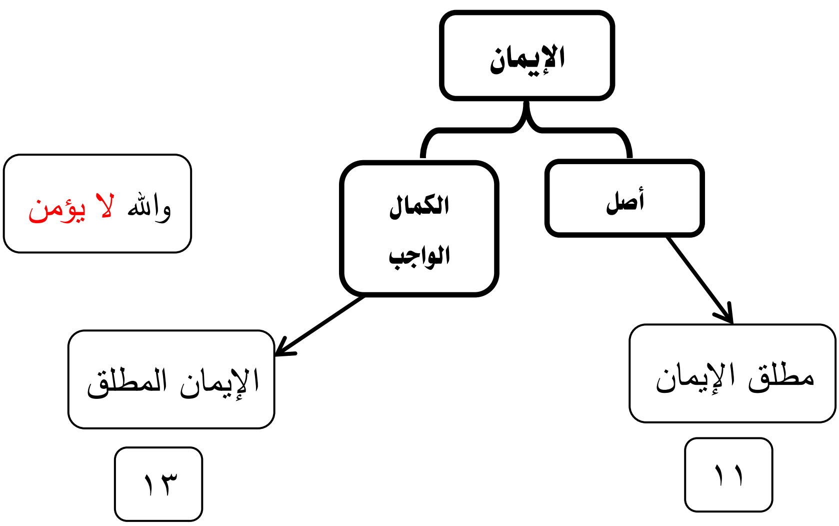
خود بالك إحنا بنتكلم عن راجل ارتكب معصية مش ارتكب كفراً، ارتكب معصيةً لم ينفِ عنه مطلق الإيمان يعني أصله، لكن بقَدْر الفِسقِ والمعاصي، إيمانُه ما زال في انتقاصِ، إيمانه الإيه؟ الواجب، إيمانه الواجب عمال ينقص ينقص زي ما أنتم شفتم كده في الكوباية.

لا نقولُ إنه في النارِ مخلَّدٌ، يعني مابنقولش كده، عكساً للخوارج، بل أمرُه للباري، وتفصيل هذا الكلام؛ تحتَ مشيئةِ الإلهِ النافِذَةْ، إن شا عفا عنه –بغير توبة–، وإن شا آخذَهْ.

هنا مافيش همزة شا، آخذَهْ من المؤاخذة مش من الأخذ، مش وإن شاء أخذه، آخذَهْ يعني عاقبه، إن شا عفا عنه، يبقي حنقول هنا بغير توبة، لأنه لو تاب مش ح يتسمى فاسق أصلاً، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ [النور: ٤ - ٥]، التائب مش فاسق، وإن شا آخذه بغير خلودٍ.

قال لك: ولا نقولُ إنه في النارِ مخلَّدٌ، بقدر ذنبه، يبقى حيتفاوت الناس في النار بقدر العذابات التي أراد الله عز وجل أن يعذبهم بها، أو بقدر المعاصي، بقدر ذنبه، يبقى يعذب في النار ويؤاخذه الله بقدر ذنبه، يعني إن شاء عفا عنه بغير توبة، لأن البحث في غير التائب زي ماقلنا، وان شاء آخذه (بقدر ذنبه)، يبقى هنا الجملة دي كمالتها هنا كده، وبعدين بعد ما دخل في النار يخرج، (وإلى الجنان يخرج) ، أهو المعتقد أهوه ثاني وشرطه (إن مات على الإيمان) اللي هوه الأصل، والقاعدة العامة: (ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً)، ده مالوش علاقة بالكفر: ولا تُكَفِّرْ بالمعاصي مُؤمِنَا، (إلا معَ استِحلالِهِ لِمَا جَنَى)، من المعاصي يعني.

والفاسقُ المِلّيُّ ذو العصيانِ   لم يُنفَ عنه مُطلقُ الإيمانِ



هنا لما يجي يبقى في البيت هذا بالذات، عشان الإخوة ياخدوا بالهم من الكلام؛ إحنا بنقول دلوقتي عندنا الإيمان أصل وكمال، عندك إشكال في دي؟ فلما النبي صلى الله عليه وسلم بيقول: والله لا يؤمن؛ ده نفي ولـلا إثبات؟ طيب إيه المنفي الأصل ولا الكمال؟ يبقى هنا لم يُنْفى عنه رغم إنه ورد النفي، بس مش مراد النفي هنا الأصل، ده مراد النفي هنا الكمال -الكمال الواجب-، لأن الكمال المستحب مالوش علاقة بالمسألة دي، إحنا بعيد يعني خلاص.

طيب بيقول: والله لا يؤمن؛ الإيمان الوجب، والله لا يؤمن الإيمان الواجب، من لا يأمن جاره بوائقه، النبي صلى الله عليه وسلم بيقول والله لا يؤمن يعني يكفر؟! لأ، يبقى إيه المنفي؟ الإيمان الواجب، يبقى بنقول المنفي هنا الكمال الواجب، ده اللي بيساوي الإيمان المطلق.

وتجي هنا مشكلة مطلق الإيمان، والإيمان المطلق، وفي فرق عندنا ولا مافيش؟، في فرق ولا مافيش بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق؟ ماهو إذا كان مطلق الإيمان هوه الأصل، والإيمان المطلق هوه الواجب، يبقى في ولا مافيش؟ ده يفرق بين المسلم والكافر، ده يفرق به بين الطائع والعاصي.

الفرق بين مطلق الإيمان نفيه بيساوي الكفر، لأن مطلق الإيمان اللي هوه أصل الإيمان أهوه، أنا عندي مطلق الإيمان اللي هوه أصله، والإيمان المطلق الذي هوه كماله الواجب، لو تفتكروا زمان في (السلفية وندوة للرأي) في أوائل الثمانيات اللي كانت في جمعية الشبان المسلمين، الشيخ ياسر والشيخ سعيد والشيخ أحمد حطيبة، والدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور الأحمدي أبو النور، في مناظرة السلفية وندوة للرأي، راح سأله سؤال ما الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان؟ فأجاب ليس هناك فرق، فقال له: هذا هو عين قول المرجئة.

هو سأله سؤال محرج لأن الأشاعرة مرجئة، ماعندهمش فعلاً فرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، ماعندهمش فرق بين الأصل والكمال، لأن الإيمان عنده حاجة واحدة يا موجودة يا مفقودة.

يبقى هنا دلوقتي بنقول: وبرده بتوع تارك جنس العمل مش عارف يفرق بين الاثنين، ماهو أنا بقولك أهوه: من أصول أهل السنة والجماعة أن تعتقد أن الإيمان أصل وكمال، دي مسألة مافيهاش، لو أنت واقف على دي فاهمها لا بتاع إرجاء ياكل معاك ولا بتاع تكفير يقدر يتلحلح معاك خطوة، ولا جنس العمل ولا جنس العفاريت الزرق يبقى يقدر يعمل معاك حاجة، أنت فاهم راسك من رجليك، يسميهالك بالطول بالعرض مخططة مدورة أنت فاهم أصلك، اللي يمشي معاك أهلاً وسهلاً، ولما يخالف ولا يهمك، ماتترددش، بس أبقى فاهم.

يبقى المشكلة عند كل الجماعة إياهم (المكفراتية الغلاة) و(المرجئة الجفاة) كل دول ماعندهمش الفرق ده، الفرق بين الإيمان أصل وكمال، بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق، لما تجي تفكها بالحروف حتلاقي دي ١٣ حرف ، والثانية ١١ حرف، وال ١٣ حرف هيه الكبيرة و ١١ الصغيرة، فالصغيرة مطلق الإيمان هو الأصل، والكبيرة أم ١٣ دي تبقى في الإيمان المطلق.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً جزاكم الله خيرًا.